T.C. Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
Araştırmaları Merkezi

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حياته وفكره

الدكتور

عبد الله الصالح العثيمين

الطبعة الثانية

دار العلوم

الرياض - المملكة العربية السعودية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة
لـدار الـعـلوم للطباعـة والنشر
ص. ب. : ١٠٥٠
هاتف: ٤٧٧٧١٢١ ـ ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٩٧٩ م
الطبعة الثانية ١٩٨٦ م
الطبعة الثانية ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مشكلات الباحثين في الموضوعات التاريخية متعددة الجوانب. ولعل من أهم هذه المشكلات قضية المصادر أو المادة المدروسة من حيث التوافر وعدمه، وقضية صلة الباحث بالشخصية أو الموضوع اللذين يريد دراستهما. ومن المعروف أن قلة المصادر الأساسية تسبب مشكلة كبيرة للباحث. وتحدّ من قدرته على تناول بحثه بطريقة مرضية. ومن الممكن أن يقال إن كثرة الدراسات القائمة على تلك المصادر الأساسية من الأمور التي توسّع أفق الباحث في ميدان بحثه. لكنها تخلق أمامه مشكلة ذات شقين في محاولته التوصل إلى كتابة ما يرى أنه جدير بالكتابة. فمن ناحية لا بد للباحث أن يحاول الاطلاع على ما كتب عن موضوع بحثه. وقد يكون بعض ما كتب حول هذا الموضوع بلغات لا يتقنها. وكل من هذا وذاك يتطلب مضاعفة الجهد. ومن ناحية ثانية، فإن كثرة الدراسات عن موضوع معيّن تحدد فرص الابتكار لدى الباحث فيه.

وحياد الباحث أمر تعتمد عليه جودة البحث بدرجة كبيرة. وقربه من الشخصية أو الموضوع اللذين يريد دراستهما يخوّله معرفة كثير من أسرار ما يريد بحثه. لكنه من ناحية أخرى قد يؤثر على موقفه ـ بقصد أو بدون قصد ـ بطريقة تختلف قوة وضعفاً من كاتب إلى آخر.

والكتابة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب تجابه بعض المشكلات. فالمصادر الأساسية المؤيدة له لا بأس بها من حيث التوافر وإعطاء بعض

التفصيلات عن حياته ودعوته. لكن أكثر المصادر المحلية المعارضة له مفقودة، أو في حساب المفقودة. ولو وجدت هذه المصادر لزادت فرص اكتمال الصورة لدى الباحث الذي يود أن يقارن بين المصادر المختلفة الميول والاتجاهات. والدراسات التي عملت بناء على المصادر الأساسية المتوافرة كثيرة ومتشعبة. فهناك رسائل علمية كتبت عن جوانب متعددة من حياة الشيخ ودعوته وما ترتب عليها من نتائج. وهناك عشرات من الكتب التي يتّسم بعضها بالجودة ألفت عن بعض تلك الجوانب. كما أن هناك كتابات كثيرة جداً تناولت حياة الشيخ أو دعوته بطريقة من الطرق. ومن المعروف أن ذلك كله لم يكتب بلغة واحدة. وإنما كتب بلغات مختلفة. ومن هنا فإن المتصدّي للكتابة عن الشيخ محمد سيجد أمامه الكثير مما لا بد من قراءته، والقليل مما يمكن قوله على أنه جديد أو مبتكر.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الدولة السعودية الحاضرة امتداد لتلك الدولة السعودية التي قامت على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونتيجة لاتفاقه مع أمير الدرعية محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ. وما زال الأثر الطيب لدعوة الشيخ قوياً لدى أفراد شعب هذه الدولة بصفة عامة. ومن أراد من هؤلاء أن يكتب عنه فإن كتابته قد تتأثر بموقفه منه مهما حاول أن يكون محايداً.

وبالرغم مما تقدم فإن شخصية الشيخ محمد تشدّ إليها الباحث. وهذا ما حدا بي إلى إخراج ما لديّ عن هذه الشخصية. والكتاب الذي أقدمه إلى القارىء الكريم يعتمد جزئياً على الرسالة التي حصلت بها على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبرا سنة ١٣٩٢هـ. وقد أدّى ظهور بعض الكتابات الجديدة بعد تقديم تلك الرسالة إلى إعادة النظر في قليل من النقاط الثانوية، وإضافة بعض الأمور وحذف البعض الآخر. كما أن الفارق بين ما هو مقدّم لنيل درجة علمية لا يقرؤه إلا عدد قليل من ذوي الاختصاص وبين ما قصد به عدد غير قليل من المهتمين بالموضوعات التاريخية أدّى إلى بعض التغيير في الأسلوب وفي طريقة كتابة الهوامش. فقد رأيت ــ مثلاً ــ أنه من الأيسر أن يكتفى في الهوامش بذكر الجزء الدال من العنوان عن ذكره كله، وأن تكتب أسماء المؤلفين الأجانب

بحروف عربية، وتترجم عناوين مؤلفاتهم إلى اللغة العربية، ذلك أن أسماء المؤلفين والعناوين الكاملة لمؤلفاتهم موجودة في قائمة المصادر.

ولا أستطيع أن أدّعي بأن القارىء سيجد في هذا الكتاب كل ما يؤمله، أو كثيراً مما يؤمله. ولكني بذلت ما في وسعي للتغلب على كثرة ما كتب في هذا الشأن، كما بذلت جهدي المستطاع لاتخاذ موقف محايد تجاه المسائل المختلفة. ولعل هذا وذاك مما يشفع لي أمام القارىء الكريم.

□ □ □

الفصل الأوّل

نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

لمحة تاريخية:

مضت فترة غير قصيرة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومنطقة نجد، مركز دعوته، مفككة ضعيفة إذا قورنت بالمناطق المحيطة بها شرقاً أو غرباً. ونتيجة لذلك أصبح حكام تلك المناطق قادرين على مدّ نفوذهم في بعض الجهات النجدية، وقد اختلف ذلك النفوذ قوة وضعفاً من وقت إلى آخر على حسب ظروف أولئك الحكام.

والمصادر التاريخية تشير إلى أن غزوات بني جبر، حكام شرق الجزيرة العربية، لنجد، بدأت منذ منتصف القرن التاسع الهجري، واستمرت هذه الغزوات حتى نهاية الربع الأول من القرن العاشر. وكان أكثرها موجهاً ضد القبائل النجدية التي كانت تعتدي على قبائل تابعة للحكام المذكورين، أو قوافل تجارية قادمة من الأحساء إلى نجد[1]. وقد تمكّن بنو جبر من بسط نفوذهم على جهات نجدية معينة لدرجة أن السمهودي لقب أحد حكامهم بأنه رئيس نجد ورأسها[2].

---

(١) عبدالله بن محمد البسام، **تحفة المشتاق**، الورقات ٨، ١٠، ١٥، ١٦.

(٢) **وفاء الوفا**: ٢/٢٢٨. وانظر عن هذا النفوذ ابن لعبون، **تاريخ حمد بن لعبون**: ٣٢ وقارنه بما ذكره الشيخ حمد الجاسر، **مدينة الرياض**: ٨٣.

ومن المعروف أن استيلاء العثمانيين على مصر سنة **٩٢٣هـ** نتج عنه انضمام الحجاز رسمياً تحت نفوذهم. ثم اتجهت أنظارهم إلى بقية جزيرة العرب رغبة في التوسع من ناحية، ودفعاً للخطر البرتغالي عن منطقة تضم الأماكن الإسلامية المقدسة من ناحية ثانية. وقد نجحوا في الحصول على ما كان لأسلافهم المماليك من نفوذ في اليمن، وعمّقوا ذلك النفوذ فيما بعد[١]. وكما أدركوا نجاحاً في مجابهتهم للبرتغاليين في البحر الأحمر أحرزوا بعض النجاح ضدهم في منطقة الخليج العربي. ولم تكن مهمتهم صعبة في الاستيلاء على الأحساء حوالي سنة **٩٦٠هـ**[٢].

ونتيجة لما تقدم أصبحت منطقة نجد محاطة من أكثر جهاتها بمناطق خاضعة للعثمانيين. وقد عمل أشراف مكة التابعين لهم من الناحية الرسمية كل ما في وسعهم لاستغلال هذا الوضع الجديد لمصلحتهم. ومن حسن حظهم أنه في تلك الفترة بالذات ظهرت بينهم شخصيات قوية مثل أبي نمي الثاني. ومن هنا بدأت غزواتهم لنجد، واستمرت زمناً طويلاً، لكنها كانت متباعدة في أوقاتها أكثر الأحيان[٣].

ويلاحظ أن كثيراً من الغزوات الشريفية كان موجهاً ضد سكان المدن والقرى، بعكس الغزوات الجبرية التي كان أكثرها ضد القبائل الرحّل، كما سبقت الإشارة إليه. وبما أن الحضر عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فإنه من غير المحتمل أن تكون حماية تلك القوافل سبباً لغزوات الأشراف لنجد. والمرجّح أن الهدف منها الحصول على غنائم وفرض نفوذ على البلاد تسنّ من

(١) قطب‌الدين النهرواني، **البرق اليماني**: ٧٠ وما بعدها؛ بيتر هولت، **مصر والهلال الخصيب**: ٢ ــ ٥٥.

(٢) جون مندافيل، «منطقة الأحساء»: ٤٨٨، في حين يذكر محمد بن عبدالقادر، [**تحفة المستفيد**: ١/١٢١] أن استيلاء العثمانيين عليها كان سنة **٩٦٣هـ**.

(٣) عبدالملك العصامي، **سمط النجوم**: ٤/٣٦٨؛ **عنوان**: ٢/٩٥ ــ ١٩٦، ٢٠٥، ٨ ــ ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٧، ١ ــ ٢٢٣ و٢٢٨.

خلاله ضرائب سنوية على السكان. وكانت البلدان التي لا تفي بالتزامها لحكام مكة أو تحاول الثورة ضدهم تعاقب بشدة[١].

لكن نفوذ العثمانيين في جزيرة العرب ما لبث أن ضعف نتيجة للمشاكل التي بات قادتهم يعانونها في المجالين الداخلي والخارجي. واضطروا في نهاية الأمر إلى ترك اليمن بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم. ثم اضطروا أيضاً إلى مغادرة الأحساء أمام ثورة زعيم بني خالد برّاك بن غُرير وأتباعه سنة **١٠٨٠هـ**[٢]. وما إن تمكن الزعيم الخالدي من السيطرة على الأحساء حتى تطلّع إلى نجد. وقد نجحت غزواته وغزوات خلفائه في مدّ النفوذ الخالدي على أجزاء معينة من هذه المنطقة[٣]. وبذلك تزاحم النفوذان الشريفي والخالدي. وكان طبيعياً أن يضعف نفوذ الأشراف لتلاشي الوجود العثماني المؤيد لهم من الجزيرة العربية. ومن هنا فإن غزوات أشراف مكة لنجد قلّت منذ بدأ النفوذ الخالدي فيها. ولم تعد تصل إلى الأماكن التي كانت تصل إليها قبل بدء هذا النفوذ.

ومهما يكن من أمر فإن نجداً لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كما أنها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت. فلا نفوذ بني جبر أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعاً من الاستقرار السياسي. فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة. والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حاداً عنيفاً.

الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت الغالبية العظمى من سكان نجد في تلك الفترة تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب. أما الأقلية ففئات متعددة: بعضها على الأرجح عربية

(١) **عنوان**: ٢/١٩٥؛ **حوادث**: ٧٠؛ ديجوري، **حكام مكة**: ١٥٨.

(٢) **عنوان**: ٢/٢١١.

(٣) المصدر السابق: ٢/٢ ــ ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١ و٢٣٣.